

العلاقة بين المنهج الخفي والتحصيل الدراسي من وجهة نظر

بيار بورديو

The relationship between the hidden curriculum and academic achievement from the perspective of Pierre Bourdieu

أحمد جلول¹، فوزي لوحيدي²، ابراهيم الذهبي³

¹ جامعة حمه لخضر-الوادي مخبر التنمية الاجتماعية وخدمة المجتمع، (الجزائر)، ahmed3907@gmail.com
² جامعة حمه لخضر-الوادي مخبر التنمية الاجتماعية وخدمة المجتمع، (الجزائر)، faouzilouhidi@gmail.com
³ جامعة حمه لخضر-الوادي مخبر التنمية الاجتماعية وخدمة المجتمع، (الجزائر)، brahiimdhahbii@gmail.com

تاريخ الاستلام : 2021/11/03 ؛ تاريخ القبول : 2022/05/10 ؛ تاريخ النشر : 2022/06/12

Abstract

The curriculum is one of the most important pillars of the educational process, as the commentators on this process hope to convey the information to the pupils' minds, by trying to provide the learner with the knowledge he needs in the future of his scientific and practical life, and find them using two types of curricula: The phenomenon that is presented to the youth and the hidden approach is the way and the way in which we are in this intervention, we will try to talk about the role of the latter type of curriculum, relying on what Pierre Bourdieu of the ideas of being one of the most important sociologists who talked about classroom interaction And the cultural code on which the educational legislator is based in building the curriculum and the individual differences in student achievement.

Keywords: Hidden curriculum, academic achievement, individual differences

المخلص

يعتبر المنهج من أهم ركائز العملية التربوية إذ عليه يعلق القارئ على هذه العملية الأمل في إيصال المعلومة إلى أذهان التلاميذ، و به يحاولون تزويد المتعلم بمجموع المعارف التي يحتاج إليها في مستقبل حياته العلمية والعملية، ونجدهم يستعملون لهذا الغرض نوعين من المناهج هما المنهج الجلي وهو المعلومات الظاهرة التي تقدم للنشء والمنهج الخفي وهو الطريقة والأسلوب الذي تقدم به ونحن في هذه المداخلة سنحاول أن نتكلم عن دور النوع الأخير من المناهج معتمدين في ذلك على ما قدمه بيار بورديو من أفكار كونه من أهم علماء اجتماع التربية الذين تكلموا عن التفاعل الصفي والشفرة الثقافية التي يركز عليها المشرع التربوي في بناء المناهج الدراسية وما تحدثه من فروق فردية في التحصيل الدراسي للتلاميذ .

الكلمات المفتاحية: المنهج الخفي، التحصيل الدراسي، الفروق الفردية

*المؤلف المراسل.

(مقدمة) :

لقد شيد بيار بورديو (1930. 2002) عملا ضخما وطموحا، يمكن اختصاره كما يلي: المجتمع فضاء للتمايز، تكون فيه علاقات الهيمنة مستترة، لأنها مستبطنة داخل الأفراد، ويقوم كل مشروع بورديو على تفكيك آليات الهيمنة، ويطرح بورديو المسلمة القائلة بان هناك في كل مجتمع مهيمنون وخاضعون، لكن هذه الهيمنة على وضع الفاعلين ومواردهم واستراتيجياتهم، لفهم هذه الظاهرة، يجب ان نتعرف على المنطق الكامن وراء الممارسات والمواقف وعلاقتها بطبيعة الموارد التي يملكها الفاعلون الاجتماعيون، لهذا السبب يعتبر بورديو المجتمع ليس هرما أو سلما بل يبدو كفضاء للاختلافات وميادين تنتظم فيها حقول اجتماعية.(عماد، 2017: 75)

وهو يرى بأن الطبقة السائدة تشكل مكان الصراع من اجل فرض مراتب مبادئ التراتب الاجتماعي، فالفئات السائدة التي تركز سلطتها على رأسمالها الاقتصادي ترمي إلى فرض مشروعية سيادتها، أما عن طريق إنتاجها الرمزي، أو بفضل أولئك الذين يدافعون عن أيديولوجيا المحافظة، و الذين لا يخدمون مصالح الفئات السائدة إلا فضلا عن ذلك الدفاع. و يهددون على الدوام بان يجعلوا سلطة تحديد العالم الاجتماعي (تلك السلطة التي توكل إليهم) تعمل لصالحهم . أما الفئة المسودة فهي تسعى دوما إلى أن تضع رأسمالها الخاص الذي يحول لها المكانة التي تحتلها، في قمة مراتب مبادئ التراتب الاجتماعي.(بورديو، 2007: 52)

فالعالم بالنسبة له يتكون من ثلاث حقول واقعي والمخيالي والرمزي فالعالم الاجتماعي عبارة عن شفرات وإشارات سيميائية متنوعة .

أما الاتجاهات والآراء فتنتهي الى حقل ابستمولوجي أدنى أما الإدراك مغالطة فهو سطحي وساذج . التمثلات مصدر لمعرفة خاطئة . والوصول الى الرمزي هو الضمان الوحيد لقطيعة معرفية حقيقية . ذلك ان العلم حقل الرمزي بامتياز.(هارمان، 2010: 101)

فالبنية هي نظام رمزي ذي ارتباطات غير معروفة لدى الفاعلين الاجتماعيين لكنها تتحكم بكل منطوق وبكل ممارسة ذات معنى وتتجاوز تمثلات الفاعلين وتتضمن الدلالات الثقافية فهي كلية سيميائية ومخطط مسبق للتفسير .

والبنوية تحاول ان تقدم مخططا للبنية يتكون من إجراءات رمزية وانساق سيميائية تحدد كيف تبني الوقائع الاجتماعية الثقافية .

وهي كما يعرفها بيار بورديو: نسق من العلاقات الموضوعية ذات خصائص تركيبية محدد تنقل الى الأفراد عن طريق التنشئة الاجتماعية وهو بهذا يجاوز ويتجاوز اتجاهين نظريين في علم الاجتماع:

الأول: موضوعي بنائي وظيفي

الثاني : ذاتي ظاهري .

والارتكاز على هذين الاتجاهين يتيح لعلماء الاجتماع من وجهة نظر بورديو إمكانية إقامة علم قادر على دراسة العلاقة الديالكتيكية بين ما هو موضوعي وبين ما هو في الظاهرة الاجتماعية .(بدران والبيلاوي، 2009: 106)

وفي كتاب التميز يتبنى بورديو نهجا يرى بشكل عام ان الأذواق والتفضيلات هي انعكاس لوضعنا في الفضاء الاجتماعي، والهائيتوس الذي نستبطنه بصفته نظاما من الاستعدادات والعادات والطرق المميزة في التفكير والشعور والتصرف، هذا الهائيتوس يعمل على إنتاج ممارسات محددة في الحياة الاجتماعية والتي يشارك فيها جميع أفراد المجموعة الواحدة.

يتكون الهائيتوس إذن على شكل نظام من الميول والنزعات والمبدأ الذي يستند إليه الأفراد في توليد الأفعال وتشكيل بنيتها وتحويلها الى تفضيلات وسلوكيات وبسبب الهائيتوس في الفضاء الاجتماعي لا يستطيع اللاعبون الاجتماعيون ان يكونوا أحرارا في أفعالهم واستجاباتهم واتجاه أفعالهم الاجتماعية يتمحور عمل بورديو في علم الاجتماع عموما حول الهيمنة وكشف النقاب عن آليات اشتغالها،

إذ يشغله السؤال المحوري من أين تأخذ الهيمنة شرعيتها؟(عماد، 2017: 78) ما الذي يجعلها مخفية عن الفاعلين سواء كانوا مهيمنين أو مهيمنا عليهم ؟
أما في علم اجتماع التربية فهو يحاول ان يجيب عن التساؤل الذي يدور حول كيف يعمل النظام التربوي على شرعنة الهيمنة داخل الحياة الاجتماعية ؟

1- المنهج الخفي وإعادة إنتاج رأس المال الثقافي:

يعتمد بيار بورديو في بحث العلاقة الموجودة بين النظام التربوي داخل المجتمع والإبقاء على الهيمنة الثقافية والاجتماعية من طرف الطبقات المسيطرة على مجموعة من المفاهيم التي تعمل مع بعضها لتكون توليفة استغلالية محكمة يصعب على أفراد المجتمع العاديين ان يتعرفوا عليها بسهولة وها هنا سندرج تعريفات لهذه المفاهيم ثم نتكلم على آلية العمل التي تشتغل على نحوها:

1.1. المنهج الخفي:

يعرفه رونالد ميغان Rolandmeigan كل الأشياء التي يتم تعلمها زيادة على المنهج الرسمي ويعرفه فليب جاكسون الذي يعتبره الأمريكيون أبا المنهاج الخفي بأنه يتمثل في النواتج الثانوية للعملية التربوية او كل النواتج الناجمة عن المنهاج الصريح وهو وفق هذا التصور يرى ان المدرسة تتبنى منهجين متكاملين في الجوهر والمضمون : احدهما خفي والآخر ظاهر رسمي، فالمنهاج الظاهر والرسمي يعمل على نقل المعلومات بصورها المختلفة في حين يقوم المنهاج الخفي على تعليم التلاميذ أشياء متعددة جدا مثل كفايات الخضوع والانصياع أمام السلطة وكيفية الاندماج في إطار الحياة الاجتماعية والمركز المحدد من قبل المجتمع.(اسعد ومارس، 2010: 34)

2.1. التحصيل الدراسي:

يعرفه روبين لافون بأنه المعرفة التي تحصل عليها الطفل خلال برنامج مدرسي قصد تكيفه مع العمل والوسط المدرسي.

أما جابلين فيرى انه مستوى محدد من الأداء والكفاءة في العمل الدراسي، كما يقيم المعلم تلاميذه عن طريق الاختبارات المقننة وغيرها. أما إبراهيم عبد المحسن الكناني فيرى ان التحصيل الدراسي هو كل أداء يقوم به التلميذ في الموضوعات المدرسية والذي يمكن إخضاعه للقياس عن طريق درجات اختبار او تقديرات مدرسين او كليهما .

ومن التعاريف السابقة يتبين لنا التعريف الإجرائي للتحصيل الدراسي كآتي :
ومجموعة التمكنات والكفاءات التي يتحصل عليها التلميذ وفقا للبرنامج الذي يدرسه ويمكن تقويمه من خلال العلامة أو الملاحظة التي يعطيها له المعلم عن طريق اختبار تحصيلي مبرمج. (لوحيدي وآخرون، 2005: 14-15)

3.1. الهابيتوس:

هي نسق من الميول والنزعات القوية التي يمكن ان تنتقل من فرد الى آخر في شكل بنى مبنية تصبح بنى بانية، حينما تستخدم كمبادئ لإنتاج التصورات والممارسات التي يمكن ان تكون موضوعية ومنتظمة دون ان تكون في أي حال من الأحوال نتاج طاعة لقانون او قاعدة ما، بمعنى ان تتم التصورات والممارسات بطريقة موضوعية ومتواترة وبصورة تلقائية وعفوية. (بدران والبيلاوي، 2009: 110)

4.1. رأس المال الثقافي:

هو مجموعة التمكنات اللغوية والثقافية التي تستخدم كأدوات لاستخلاص مزيد من رأس المال الثقافي. (بدران والبيلاوي، 2009: 109)
مما ينبغي الإشارة إليه أن أيا من المفاهيم البوردواوية لا يعمل منفصلا عن الجهاز المفاهيمي الكامل لصاحبها فهو يتعامل مع هذه المفاهيم كبنية متكاملة يخدم كل عنصر فيها العناصر الأخرى بما يساهم في تعميق الفهم والتحليل، ويأتي مفهوم الهيمنة الذي هو في صلب هذا الجهاز، ليعمل بتكامل وتناغم مع مفهوم الهابيتوس

والحقل والرأسمال والشرعية، ذلك ان نجاح أية هيمنة يتطلب اعترافا وقبولاً، وخضوعاً غير واع من المهيمن عليهم بسلطة المهيمنين واستحقاقهم لهذه الهيمنة، وهذا يفترض إضفاء الشرعية على هذه السلطة وهذا الاستحقاق شرعية تعيد تشكيل العنف الذي تنتجه الهيمنة فمن اجل تثبيت شرعية الهيمنة واستمرارها، لا يمكن الاستناد الى العنف المادي، ولذلك يتم تحويل هذا الأخير، من خلال ممارسات وأدوات رمزية مثل القانون أو الموهبة أو الشهادة العلمية الى عنف رمزي، هذا ما يحدث في المجتمعات الحديثة، أما في المجتمعات التقليدية فيتم التحويل هذا بواسطة التفويض الإلهي حيث تكون هذه الشرعية الهيمنة، لذا لا يمكن مسها. وهذا العنف الرمزي يمتاز بأنه لطيف، ناعم مخفي وجهول بصفته عنفا ومطلوب ومعترف به، ومقبول من طرفي الهيمنة، وخاصة المهيمن عليهم الأمر الذي يسمح بالهيمنة عبر الزمن.(عماد، 2017: 78-79)

وهذا ما يعلق عليه بيار بورديو في كتابه العنف الرمزي بقوله ان أي نفوذ يقوم على العنف الرمزي او أي نفوذ يقوم على فرض دلالات معينة، وفي فرضها بوصفها دلالات شرعية حاجبا علاقات القوة التي تؤصل قوته، يضيف الى علاقات القوة هذه، قوته الذاتية المخصصة أي ذات الطابع الرمزي المخصوص.

وترتبط القوة في ديمومتها وبقائها في الحقل بإعادة الإنتاج، وهي مسألة ترتبط بإعادة إنتاج ثقافة الأوضاع الطبقيّة عن طريق الأسرة والتنشئة الاجتماعية عموماً، وتعتبر شرعية رأس المال الثقافي حاسمة في تأثيرها كمصدر للقوة والنجاح، وقد سبق وان اشرنا الى ان بورديو قد ناقشها تحت مصطلح العنف الرمزي، وهو ذلك العنف الذي يمارس على الفاعل مع إشراكه في الجريمة، وهذا يعني ان الناس يخبرون بأنساق المعنى (الثقافة) على انها شرعية، ولكن هناك في الواقع عملية من عدم الفهم أو الإدراك لما يجري بالفعل .

بموجب الهايتوس الناتج عن تفاعل الذات والموضوع (الفرد والبناء) فان الناس ينخرطون في سلسلة من خطط الاستدماج التي من خلالها يدركون، ويفهمون ويقدرن ويقيمون عالمهم الاجتماعي .ومن خلال الخطط فان الناس يعلمون في نفس الوقت .

أن نفرض هذه المسلمة، التي تبين ما للعلاقات الرمزية، بالنسبة لعلاقات القوة، من استقلالية وتبعية في نفس الوقت، يعني أننا ننفي أية إمكانية لإيجاد علم الاجتماع .

وبالفعل، فحيث ان جميع النظريات المبنية على مسلمت مختلفة تقود الى ربط حرية الأفراد المبدعة أو حرية الأفراد بمبدأ النشاط الرمزي، بوصفه نشاطا مستقلا عن الشروط الموضوعية التي تحكم ممارساته، أما الى الإحجام عن إعطائه أية درجة من الاستقلالية عن الشروط المادية لوجوده، يحق لنا اعتبار هذه المسلمة كأحد مبادئ نظرية المعرفة الاجتماعية . (بورديو، 1994: 05)

2- المنهج الخفي والتحصيل الدراسي:

دور المنهج الخفي في هذه العملية -حسب بورديو- هو ان الخاضعين غير الواعين لهذه الآليات التي تمارس الهيمنة من خلالها، وكذلك المهيمون، وذلك ناتج عن الهايتوس، وعن ممارسات ونزعات مستبنة يرثها الفرد من التنشئة الاجتماعية، وتعززها مناهج التعليم السائدة، ويشير بورديو هنا الى نسق التعليم، ليس باعتباره مكان نقل الثقافة الشرعية فقط، بل كمكان لفرض التعسف الثقافي الذي ينتج الأوضاع الثقافية اللامتكافئة، وبالتالي ينتج إعادة إنتاج النظام القائم (عماد، 2017: 79) وهذا يتم من خلال المنهج الخفي المتمثل في الممارسات التي يقوم بها المعلمون داخل الصف أثناء إصالحهم للمقررات الدراسية داخل الصف الدراسي فأثناء مناقشة بورديو للعديد من المظاهر التعليمية والتربوية التي تتم داخل المدارس والفصول الدراسية وعلاقة المدرسين بتلاميذهم المبنية أساسا على رأس المال

الثقافي، والثقافة المسيطرة للطبقات العليا الحاكمة والتمايز الطبقي عن الطبقات الاجتماعية وحصول أبنائها على مستويات تعليمية ودرجات دراسية وشهادات علمية وتربوية مختلفة حسب وضعهم الطبقي ذاته، فيوضح على سبيل المثال، ان المدرسين في المدارس وداخل الفصول الدراسية لديهم اقتناع كبير بتأثير الوضع الطبقي والمكانة الاجتماعية والاقتصادية لأبناء الطبقات العليا عن غيرهم من أبناء الطبقات الأخرى، وهذا التأثير يكشف أيضا الأسباب التي من ورائها تتأثر اتجاهات وميول المدرسين نحو أبناء الطبقات العليا وأسلوب حياتهم وتحصيلهم الدراسي وتفوقهم العلمي، دون الاهتمام بالمضمون والمحتوى لمستويات التحصيل والتفوق ذاته . وبكلمات أخرى، يعتقد المدرسون ان الوضع الطبقي للتلاميذ من شأنه ان يؤثر على مستويات التحصيل والتفوق والاستيعاب بالمدارس، وهذا ما يحدث نوع من عدم عدالة التوزيع في الاهتمام نحو التلاميذ والذي يتحدد حسب الانتماءات الطبقية، وهذا ما يوضح أيضا الأسباب التي بموجبها يستخدم المدرسين اللغة والحديث البرجوازي أو اللغة والحديث العام عندما يتحدثون الى الطبقات البرجوازية أو الطبقات العاملة الفقيرة . (عبد الرحمان، 2001: 232)

إن النسق الثقافي أو الرمزي كرأس مال يتمثل في الكتب والأعمال الفنية والأدبية والشهادات العلمية وفي مجموعة الممارسات الثقافية مثل زيارة المتاحف وارتداد المسارح وحضور الندوات، كما يتمثل أيضا في التمكنات اللغوية والثقافية التي تستخدم كأدوات لاستخلاص مزيد من رأس مال ثقافي. وهذا الصدد يقول بورديو: " و لما كان لزاما على طلاب الطبقات الشعبية والمتوسطة الذين يبلغون التعليم العالي النجاح في مشروع المثاقفة إرضاء لحد أدنى من الشروط أو المقتضيات المدرسية، لا ينضغط على تلك التي تتعلق بلزوميات مدرسية من أمر باللغة، فقد أصيبوا حتما باصطفاء اشد طبقا لمعيار الكفاءة اللسانية عينه... حتى و لو كان جليا بوجه خاص في سنوات التمدرس الأولى، إذ أن فهم اللغة واستعمالها إنما يمثلان نقطة

ارتكاز رئيسة لحكم الأساتذة، فإن رأس مال اللغوي لا يكف يوما عن مزاوله تأثيره : إن الأسلوب دوما مأخوذ بالحسبان في كل مستويات المسيرة، وفي الدروب الجامعية كلها، و حتى العلمية، وإن بدرجات شتى . ثم أيضا، ليس اللسان أداة تواصل فحسب، إنما يوفر علاوة عن كونه معجما ثريا نسقا من الفئات معقدا في بعض وجوهه. وعلى نحو تكون مهارة فك رموزه بنى معقدة، أكانت منطقية أم جمالية، و التحكم بها، إنما تتبع في جزء منها، تعقد اللغة التي تورثها العائلة ..."

(بورديو وباسرون، 2007: 187-188)

وبما ان التمكّنات اللغوية جزء من رأس المال الثقافي ويطلق عليها بورديو رأس المال اللغوي وذلك لما لها من أهمية خاصة في عملية الاتصال البيداغوجي فالتمكّنات اللغوية أو رأس المال اللغوية من الميكانيزمات المؤثرة جدا في فاعلية الاتصال التربوي، وخاصة المراحل الأولى من التعليم، ذلك ان فهم اللغة واستعمالها من الأبعاد الأساسية التي تقوم عليها عملية تقييم التلاميذ، فاللغة ليست مجرد أداة للاتصال، إذ هي تمد التلاميذ بمفردات غنية او فقيرة ونسق من المقولات والمفاهيم ويقول بورديو، (ان قدرة الطفل على الفهم والتعامل مع المعاني المعقدة سواء المجردة أو المحسوسة إنما يتوقف على تعقد الحصيلة اللغوية التي نقلت إليه من خلال تنشئته يمكن فقط ان يتزايد كلما اتجهنا صوب الطبقات التي يتباعد نمط لغتها عن النمط اللغوي الأكاديمي السائد في النظام التعليمي في مرحلة معينة ومقرر معين) معنى ذلك ان التوزيع غير المتساوي لرأس المال اللغوي بين أبناء الطبقات الاجتماعية المختلفة يعتبر احد المعوقات التربوية أمامهم، فإذا كانت التمكّنات اللغوية التي تسود النظام التعليمي والتي تعتبر شرطا لانجاز العملية التربوية التي تختلف أو بعيدة عن النمط اللغوي لمجموعة من التلاميذ فان التمكّنات اللغوية ستكون عامل طرد لهؤلاء التلاميذ من التربية. فحينما تسيطر ثقافة الطبقات العليا على نظام تعليمي ما فان ذلك النظام التعليمي سيقوم حتما

بطرد واستبعاد التلاميذ القادمين من أصول طبقة متواضعة هؤلاء الذين يمتلكون تمكّنات ثقافية ولغوية متواضعة. (بدران والبيلاوي، 2009: 128)

ومن هنا يظهر لنا ان بورديو يفسر الانتقاء بوجود توزيع لا متكافئ ما بين مختلف الطبقات الاجتماعية لرأس المال اللساني ذي المردودية المدرسية، وبهذا فان طريقة البرجوازية المتمكنة من السلطة - الجهاز الأيديولوجي للدولة - في انتقاء الأطفال بهدف الإبقاء عليهم في ظروفهم الأصلية، ومن ثم ضمان استمرارية التفاوتات الاجتماعية واستغلال العمل، تقتضي قنا لسانيا معيناً، وهو خاص بالبرجوازية ويظل الإمام به ضروريا للنجاح في المدرسة، ان هذه المسألة قابلة للتحقق بالخصوص في المستويات الدراسية العليا، وهي متواجدة منذ الانطلاق، وتبقى أهمية اللغة ووزن الاختبارات اللغوية بالنسبة لنجاح الطفل مسألة جد ملحوظة، واللغة في هذا المنحى هي في واقع الحال ما يصطلح عليا باللغة الراقية le beau langage أي تلك اللغة التي تعمل البرجوازية منذ قرن من الزمن على تجويدها وتفترض حسن استعمالها للنجاح في الاختبارات المدرسية، فمن ليس لهم استعداد لذلك كأطفال العمال المهاجرين على سبيل المثال يجدون أنفسهم داخل عالم غريب في كنف المدرسة. (غريب، 2009: 30)

لذا تكتسي التمكّنات اللغوية الأهمية البالغة إذ أنها تمثل رأس مال يساهم في زيادة حجم المكتسبات و التمكّنات المعرفية والثقافية، حيث تختلف طبيعة و نوعية هذه التمكّنات باختلاف الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد، فمن خلالها يكتسب مختلف المعارف، من بينها المعرفة المدرسية التي في الأصل تتفق طبيعتها مع طبيعة الطبقة الرأسمالية المسيطرة، لذا يعجز أبناء الطبقة الوسطة و بشكل خاص الطبقة الفقيرة من اكتسابها، وفي هذا السياق يقول بورديو: "إن رأسمال الثقافي إنما يضاف إلى رأسمال ثقافي، ولا يمتلك رأسمال ثقافي إلا هؤلاء الذين يمتلكون رأسمال ثقافي" (بدران والبيلاوي، 2003: 118)

إذن يرى بورديو ان النظام التربوي، في طريقة تعاطيه هذه، وتحت مسمى المعاملة بالمساواة بغض النظر عن الفروق الاجتماعية للطلاب، إنما يقدم محتوى يقيم و يثمن الطبقات المهيمنة، وانه لذلك نظام غير محايد بل منحاز بشكل كبير واضح لثقافة بعينها، ويمارس تعسفا وعنفا رمزيا بفرض هذه الثقافة، على اعتبار أنها ثقافة شرعية وحيدة، وما يزيد من فاعلية هذا النظام في إعادة إنتاج الهيمنة الثقافية، وبالتالي الاجتماعية، هو اعتماده على أمرين أساسيين يساهمان في إخفاء حقيقته، يتمثل الأول في الاصطفاء والإقصاء بواسطة الامتحان. ذلك ان المساواة الشكلية أمام الامتحان الذي تجر به الجامعة أو المؤسسات التربوية للجميع، هي في الواقع عملية خادعة لأنها بالمحصلة انتقاء على الأصل الاجتماعي، أما الأمر الثاني فهو الادعاء باستقلالية الحقل التربوي فعلى الجميع الحصول على الشهادة الجامعية بمن فيهم أبناء الطبقات المهيمنة، هكذا يؤمن النظام شرعية ممارسة السلطة واستمرارية الهيمنة بواسطة جسم متخصص ويتمتع باستقلالية واحد أهم وظائفه هي شرعنة السلطة.

وهكذا، وخلف أسطورة المساواة وديمقراطية التعليم، فان المدارس الكبرى والجامعات تصبح أداة في خدمة استراتيجيات إعادة الهيمنة، يؤكد بورديو على ان صورة الرجل العصامي الذي يصنع نفسه بنفسه لا تعدو كونها استثناء: إذ لا نجد سوى 3% من أبناء العمال بين كبار المدراء. (عماد، 2017: 80-81)

وملخص الكلام هو ان بورديو يرى أن الدور الرئيسي للنظام التربوي في المجتمع الرأسمالي يسهم في جعل هذا النظام مكرسا من أجل إعادة الاجتماعي، ويقصد بهذا النوع من إعادة الإنتاج لعلاقة القوة والمميزات الاجتماعية بين الطبقات الاجتماعية فاللامساواة الاجتماعية يعاد إنتاجها بواسطة النظام ذاته كما أن الوضع والمكانة العليا للطبقات المسيطرة يحصلون عليها من خلال النجاح التعليمي

والدراسي والوضع غير المتكافئ مع الطبقات الدنيا وشرعية رسوبها وفشلها التعليمي (لوحيدي، 2017: 16)

وفي كتاب العنف الرمزي يقول بورديو إن أي نشاط تربوي هو موضوعيا نوع من العنف الرمزي، وذلك بوصفه فرضا من قبل جهة متعسفة لتعسف ثقافي معين. ذلك أن أي نشاط تربوي، سواء أكان يمارس من قبل جميع الأفراد المتعلمين ضمن تشكيلة اجتماعية أو جماعة معينة (التربية المنتشرة) أو من قبل أعضاء المجموعة العائلية التي تسيطر بها جماعة أو طبقة معينة هذه المهمة (التربية العائلية) أو من قبل نظام يعتمد عملاء تحولهم تولى هذا الشأن، تضطلع بصورة مباشرة أو غير مباشرة، كلية أو جزئية، بوظيفة تربوية (تربية مؤسسية)، وكذلك إلا في حالة وجود إشارات حصرية على أي نشاط تربوي سواء كان يهدف إلى معاودة إنتاج نموذج التعسف الثقافي الخاص بالطبقات الغالبة أو المغلوبة.

وبتعبير آخر، يتحدد نطاق هذه الافتراضات انطلاقا من كونها تتناسب مع أي تشكيلة اجتماعية من حيث أنها نظام من علاقات القوة والمعنى الذي ينعقد بين الطبقات أو الجماعات. (بورديو، 1994: 07)

خاتمة

و مما سبق يمكن القول: إن بيار بورديو استطاع ان يعطي ولادة ثانية لسوسيولوجيا التربية، وقد انطلق من فرضية سوسيولوجية أساسية هي: لا يملك المتعلمون الحظوظ نفسها في تحقيق النجاح المدرسي. وقد ترتب عن هذا الاختلاف في الحظوظ تنوع طبقي ومجتمعي، ووجود فوارق فردية داخل الفصل الدراسي نفسه. ومن ثم، فقد قادت الأبحاث السوسيولوجية والإحصائية التي أجراها كل من بورديو وباسرون إلى استنتاج أساسي هو أن الثقافة التي يتلقاها المتعلم، في المدرسة الفرنسية الرأسمالية، ليست ثقافة موضوعية ومحايده، بل هي تعبير عن الثقافة المهيمنة أو ثقافة الطبقة الحاكمة. ومن ثم، فالتنشئة الاجتماعية ليست تحريرا للمتعلم، بل

إدماجاله في المجتمع في إطار ثقافة التوافق والتطبيع والانضباط المجتمعي. ومن ثمّ تعيد لنا المدرسة الطبقات الاجتماعية نفسها عن طريق الاصطفاء والانتقاء والانتخاب. ومن ثمّ فهي مدرسة اللامساواة الاجتماعية بامتياز. (حمداوي، 1995: 32)

- المراجع :

- بيير، بورديو (2007)، الرمز والسلطة، ترجمة عبد السلام بن عبد العالي، (ط2). المغرب: دار توبقال للنشر.
- بيير، بورديو. (1994). العنف الرمزي، ترجمة نظير جاهل. (ط1). بيروت: المركز الثقافي العربي
- بيير، بورديو، جان كلود باسرون (2007)، إعادة الإنتاج - في سبيل نظرية عامة لنسق التعليم - ترجمة ماهر تريمش، المنظمة العربية للترجمة. لبنان: توزيع مركز دراسات الوحدة العربية
- جاك، هارمان (2010)، خطابات علم الاجتماع في النظرية الاجتماعية، ترجمة العياشي عنصر. (ط1). الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.
- جميل، حمداوي (1995)، سوسيولوجيا التربية، شبكة اللوكة.
- شبل بدران، حسن البيلاوي (2003). علم اجتماع التربية المعاصر. (ط2). الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- شبل بدران، حسن البيلاوي. (2009). علم اجتماع التربية الجديد، (ط3). مصر: دار المعرفة الجامعية.
- عبد الغني، عماد. (2017). علم اجتماع التربية الاتجاهات والمدارس والمقاربات. بيروت: منتدى المعارف.
- غريب، عبد الكريم. (2009). سوسيولوجيا المدرسة. الدار البيضاء: منشورات عالم التربية.
- عبد الله محمد، عبد الرحمان. (2001). علم اجتماع التربية الحديث، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- علي اسعد، وطفة (2010، مارس)، الرسائل الصامتة في المدرسة، قراءة إيديولوجية في الوظيفة التطبيقية للمناهج الخفي، المجلة التربوية، ع (94)،
- لوحيدي، فوزي وآخرون. (2005). الأساليب التربوية في كل من المسجد والروضة وعلاقتها بظهور الفروق في نتائج التحصيل الدراسي، مذكرة ليسانس علم اجتماع التربية، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بسكرة،
- لوحيدي، فوزي. (2017). محاضرات في علم اجتماع التربية، المغرب: دار نور للنشر.